# الإمام المحدث الحافظ ابن قرقول الوهراني الجزائري

د.حمزة العيدية
جامعة وهران1 أحمد بن بلة

الملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى ترجمة لعلم من أعلام الجزائر الذين تألقوا في الدراسات الإسلامية و غابت أسماؤهم عبر التاريخ ، وابن قرقول الوهراني الجزائري احد هذه الشخصيات البارزة في شتى العلوم.
Cette étude vise à traduire les connaissances des savants de l'Algérie qui ont apparue et émergé dans les études islamiques dont étaient absents à travers l'histoire، et IBN Kerkol Wahrani Algérien un de ces personnalités éminentes dans diverses sciences.

الكلمات المفتاحية:
المحدث الحافظ ابن قرقول الوهراني الجزائري مطالع الأنوار على صحاح الآثار.

الحمد لله ربّ العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ فضله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أوتي جوامع الكلم نبي الهدى الذي طهَّر قلبه فقضى بمنهاج ربه{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا }[1].

والقائل عليه أفضل الصلاة والتسليم:" يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدناه فيه حلال استحللناه وما وجدناه فيه حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل الذي حرمه الله "[2].

وقال إمام دار الهجرة مالك رضي الله تعالى عنه:"السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق"[3].

إيمانا بمن لا ينطق عن الهوى –إن هو إلا وحي يوحى– اجتهدت نخبة من علماء الجزائر في دراسة السنة دراسة معمقة شرحا لمعانيها وبيانا لأحكامها وتوضيحا لغريبها وتعريفا برجالها فرحلوا إلى مشارق الأرض ومغاربها بغية تحصيل ودراسة الصحيحين والموطأ.

وجليسنا اليوم هو المحدث الحافظ ابن قرقول الوهراني الجزائري، نقول عنه و عن أمثاله كما قال الشيخ عبد الحميد بن باديس عن ابن أبي شنب :"لما عرفناه فقدناه".

وقال عنه الشيخ البشير الإبراهيمي:" يا ساكن الثرى ومستبدل الغربة بالأهل هذه الجزائر تناجيك بلسان طائفة من أبنائها البارين بك وبها، وتقول عرفك الغرب والشرق ولم تعرفك الجزائر حق المعرفة في حياتك، فهي تبكي عليك حق البكاء بعد وفاتك وهذه الألفاظ هي دموع المقصّر بعد العتب والتائب بعد الذنب".

فنقول: لما فقدناك ذكرناك ويذكرك أبناؤك ويحيون آثارك ويعرفون بك النشأة من أبناء حمزة يا مفخرة وهران وسؤدد الجزائر.

الإمام المحدث الحافظ ابن قرقول الجزائري:

إبن قرقول الإمام العلامة أبو إسحاق ، إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد ، الحمزي الوهراني ، المعروف بابن قرقول من قرية حمزة من عمالة بجاية.

ولادته:ولد بمدينة المرية بالأندلس سنة 505 هـ / 1111 م ، و فيها حفظ القرآن الكريم و تعلم علوم العربية و آدابها من نحو وصرف وبيان وشعر، كما درس بعض كتب الفقه المتعارف على تدريسها وتلقينها للناشئين حسبما جرت به عادة أهل ذلك العصر.

شيوخه و رحلاته في طلب العلم:

يذكر الإمام الذهبي أن أول شيوخه هو جده لأمه أبو القاسم بن ورد الذي تعلم على يديه مبادئ العربية، و حفظه القرآن الكريم، و سمع منه الحديث الشريف و روي عنه، كما سمع من أبي الحسن بن نافع، وروى عنه، وعن أبي الحسن بن اللواز، وأبي العباس بن العريف الزاهد، وأبي عبد الله بن الحاج الشهيد، و حمل عن أبي إسحاق الخفاجي ديوانه.

وكان رحالا في العلم نقالا فقيها، نظارا أديبا نحويا، عارفا بالحديث ورجاله، بديع الكتابة، روى عنه عدة، منهم يوسف بن محمد بن الشيخ، وعبد العزيز بن علي السمات، وكان من أوعية العلم، له كتاب "المطالع على الصحيح "غزير الفوائد، انتقل من مالقة إلى سبتة، ثم إلى سلا، ثم إلى فاس، وتصدر للإفادة.

و من شيوخه أيضا :

– محمد بن حكيم بن محمد بن أحمد بن باق الجزامي (ت 538 هـ بفاس وقيل: بتلمسان)، من أهل سرقسطة سكن غرناطة ثم مدينة فاس يكنى أبا جعفر .

- محمد بن خلف بن موسى الأوسي، أبو عبد الله الأنصاري، الأندلسي، الألبيري، نزيل قرطبة قرأ عليه كتابه " النكت والأمالي في النقض على الغزالي "، ورسالة " الانتصار " على مذهب أئمة الأخبار، و ورسالة "البيان في حقيقة الإيمان " ورسالة " الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء " وأخذ عنه كتاب " شرح مشكل ما في الموطأ وصحيح البخاري."

-أما تلميذه الحافظ ابن دحية فقد ذكر جملة من شيوخ ابن قرقول في كتابه المطرب من أشعار المغرب فقال أنه " قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتقنه على أبي جعفر بن عزلون صاحب القاضي أبي الوليد الباجي، وعلى القاضي الإمام أبي القاسم ابن ورد، وروى صحيح مسلم عن أبي عبد الله بن زغيبة الكلابي يرويه، عن العذري. ورحل إلى شرق الأندلس للقاء الأستاذ العالم إمام النحو والآداب، والشارح للحديث والفقيه والأصول والأنساب، أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، فقرأ عليه كتاب التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة، وهو كتاب حسن.... وشيوخ شيخنا جملة عديدة، وتصانيفه متقنة مفيدة" 4

وقد وهم محمد بن جعفر الكتاني فأضاف إلى شيوخه القاضي عياض – و لم أجد في المصادر التي طالعتها من ذكر القاضي عياض من شيوخه – قال الكتاني

"الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي المعروف بابن قرقول كعصفور المتوفى بفاس سنة تسع وستين وخمسمائة وهو من تلاميذ عياض "5.

و قد اشتهر ابن قرقول بكثرة رحلاته في طلب العلم و الحديث الشريف على عادة الأئمة الحفاظ، فقد وصفه ابن الأبار بأنه ":كان رحالاً في العلم فقيهاً نظاراً، أديباً، حافظاً، يبصر الحديث ورجاله "

و لذلك تعددت رحلاته من مالقة إلى سرقسطة، إلى سبتة، ثم إلى سلا، ثم إلى فاس التي توفي بها.

كما اشتهر بحسن الخط و جودته فيه، فقد وصفه جميع من ترجموا له:" صنف وألف مع براعة الخط وحسن الوراقة، بديع الكتابة

علمه و مجالسه:

تذكر المصادر التي ترجمت له رغم قلة المعلومات انه تصدى لرواية و تدريس الحديث الشريف، بل إن بعض الأخبار الموجودة في شذرات الكتب تتحدث عن شروح و تفسير للقرآن الكريم، فها هو الإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووى (ت 676 هـ) يستشهد بأقوال ابن قرقول في شرحه لكلمة آمين، يقول النووي : " ...وقال ابن قرقول – بضم القافين – وهو أبو

إسحاق صاحب" مطالع الأنوار": آمين مطولة ومقصورة ومخففة، وأنكر أكثر العلماء تشديد الميم، وأنكر ثعلب قصر الهمزة إلا في الشعر، وصححه يعقوب في الشعر وغيره، والنون مفتوحة أبدًا مثل: أين، وكيف، واختلف في معناه، قيل: كذلك يكون، وقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى أصله القصر، فأدخلت عليه همزة النداء، قال: وهذا لا يصح؛ لأنه ليس في أسماء الله تعالى اسم مبني ولا غير معرب، مع أن أسماء الله تعالى لا تثبت إلا بقرآن أو سنة متواترة، وقد عدم الطريقان في آمين، وقيل: آمين درجة في الجنة تجب لقائلها، وقيل: هو طابع الله على عباده يدفع به عنهم الآفات، وقيل: معناه اللهم أمنا بخير، هذا ما ذكره صاحب المطالع"6 .

إلى جانب تدريسه للفقه و تصدره للفتيا على مذهب الإمام مالك رحمه الله، كانت مجالسه تتخللها المدارسات النحوية و الأدبية، فرغم شهرته في الحديث الشريف رواية ودراية، إلا أنه عرف أيضا بأنه نحوي و لغوي لا يشق له غبار، كما كان يخطب في الناس الجمعة و يهتم بالدعوة و الإرشاد.

وتذكر المصادر نفسها أنه عقد له بمدينة مالقة بجامعها الأعظم مجلس عام لرواية وقراءة وشرح الصحيحين والموطأ وكان يحضر مجلسه خلق كثير استفادوا منه ومن علمه: " كان لابن قرقول بجامع مالقة الأعظم، مجلس عام، سوى مجلس تدريسه، يتكلم فيه على الحديث، إسناداً ومتناً، بطريقة عجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه ."كما أن الناس اجتمعوا به و طلبوا الاستفادة مما عنده من علوم و خاصة رواية الحديث لما انتقل إلى فاس وقد نهل من منهله الصافي وتضلع به خلقٌ كثير، ومن أشهرهم:

- عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحي بن عبد الله الأنصاري المالقى، القرطبي الأصل، يكنى أبا محمد، ويعرف بالقرطبي " : كان في وقته ببلده، كامل المعارف، صدرا في المقرئين والمجودين، رئيس المحدثين وإمامهم، واسع المعرفة، مكثراً، ثقة، عدلاً، أمينا، مكين الرواية، رائق الخط، نبيل التقييد والضبط، ناقداً، ذاكراً أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم، وما حلوا به من جرح وتعديل، لا يدانيه أحد في ذلك، عزيز النظر، متيقظاً، متوقد الذهن، كريم الخلال، حميد العشرة، دمثاً، متواضعاً، حسن الخلق، محبباً إلى الناس، نزيه النفس، جميل الهيئة، وقوراً، معظماً عند الخاصة والعامة، ديناً، زاهداً، ورعاً، فاضلا، نحوياً ماهراً، ريان من الأدب، قائلاً الجيد من الشعر، مقصدا ومقطعاً.... تلا بمالقة على أبيه، وأبي زيد السهيلى، والقاسم بن دحمان، وروى عنهم، وعن أبي الحجاج بن الشيخ، وأبوي عبد الله بن الفخار، وابن نوح، وابن كامل، وابن جابر، وابن بونة. وبالمنكب عن عبد الوهاب الصدفي. وحضر بمالقة مجلس أبي إسحق بن قرقول، ألف في العروض مجموعات نبيلة، وفي قراءة نافع. ولخص أسانيد الموطأ. وله المبدي لخطأ الرندي " 7 .

- عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي المعروف بالرندي، من أهل رندة يكنى أبا علي: "كان من جملة المقريين، جهابذة الأستاذين، مشاركاً في فنون، نقاداً ،...روى عن أبي زيد السهيلي، وعنه أخذ العربية والأدب، وبه تفقه، وإياه اعتمد، وتلا القراءات بقراءات السبعة، وعن أبي إسحق بن قرقول ...شرح جمل أبي القاسم الزجاجي، وألف برنامجاً جامعاً، روي عنه أبو عبد الله بن تسكر القاضي، والشيخ أبو عبد الله بن عبيد الأوسي، وأبو عبد الله الطنجالي، والخطيب ابن أبي ريحانة"8 .

- محمد بن مسعود الخشني الأندلسي الجياني المعروف بمصعب الخشني:"كان أحد الأئمة المتقنين، وأحد المعتمدين في الفقه والأدب، إماماً في العربية؛ جال الأندلس في طلب العلم. وروى عن ابن قرقول وابن بشكوال، وعبد الحق الإشبيلي، وأجاز له السلفي، وولي قضاء بلده" 9.

- الكريم التميمي : " الكريم التميمي الفاسي من رجال المائة السادسة وهو صاحب كتاب المستفاد يروي عن ابن قرقول"10.

– الحافظ الأديب ابن دحية مؤلف كتاب " المطرب من أشعار المغرب "ابن دحية الشيخ العلامة المحدث الرحال المتفنن مجد الدين أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجميل ... سمع أبا بكر بن الجد وأبا القاسم بن بشكوال وحدث بتونس ب صحيح مسلم عن طائفة وروى عن آخرين منهم أبو عبد الله بن بشكوال وقال سمعت منه كتاب الصلة .... وأبو إسحاق بن قرقول، وكان بصيرا بالحديث معتنيا بتقييده مكبا على سماعه حسن الخط معروفا بالضبط له حظ وافر من اللغة ومشاركة في العربية وغيرها ولي قضاء دانية مرتين وصرف لسيرة نعتت عليه "11.

ثناء العلماء عليه:

وصفه مؤرخ الإسلام الإمام الذهبي بأنه:

- "الإمام العلامة المحدث"، و بأنه "الإمام الحافظ... وكان رحالا في العلم نقالا فقيها، نظارا أديبا نحويا، عارفا بالحديث ورجاله، وكان من أوعية العلم، له كتاب" المطالع على الصحيح" غزير لفوائد"12.

-وقال عنه ابن فرحون " :كان فاضلاً وصحب جماعة من العلماء بالأندلس "13.

– وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني ": صاحبُ التواليف أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن قَرقُول الحَمْزي" 14.

- ووصفه تلميذه الحافظ المحدث ابن دحية مجد الدين أبو الخطاب بأنه:"الفقيه الإمام المحدث الأصولي النحوي اللغوي أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف "15.

صداقته لأبي زيد السهيلي:

وكان رفيقا لابي زيد السهيلي وصديقا له، وأبو زيد: هو عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي المالقي، صاحب " الروض الأنف " في شرح السيرة النبوية لابن هشام المتوفى سنة 581 هـ ، فلما فارقه وتحول إلى مدينة سلا –مدينة بأقصى المغرب– ، نظم فيه أبو زيد أبياتا، وبعث بها إليه، وهي:

سلا عن سلا إن المعارف والنهى *** بها ودعا أم الرباب ومأسلا

بكيت أسى أيام كان بسبتة *** فكيف التأسي حين منزله سلا

وقال أناس إن في البعد سلوة *** وقد طال هذا البعد والقلب ما سلا

فليت أبا إسحاق إذ شطت النوى *** تحيته الحسنى مع الريح أرسلا

فعادت دبور الريح عندي كالصبا *** بذي غمر إذ أمر زيد تبسلا

فقد كان يهديني الحديث موصلا *** فأصبح موصول الأحاديث مرسلا

وقد كان يحيي العلم والذكر عندنا *** أو إن دنا فالآن بالنأي كسلا

فلله أم بالمرية أنجبت *** به وأب ماذا من الخير أنسلا

وفاته:

توفي ابن قرقول بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر سادس شوال وقيل في شعبان سنة تسع وستين وخمسمائة.( 569 هـ/ 1174 م)، وقد ذكرت المصادر أنه توفي يوم الجمعة: "وكان قد صلى الجمعة في الجامع، فلما ضرته الوفاة تلا سورة الإخلاص، وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ساجداً فوقع ميتاً، رحمة الله تعالى" 16.

مؤلفاته:

لقد ألف مترجمنا الكثير من المصنفات ، يدل على ذلك قول ابن الآبار السابق ذكره : "و قد صنف و ألف"، ولكن مع الأسف فإننا لا نعرف إلا كتابه :"مطالع الأنوار على صحاح الآثار " الذي صنفه على مثال مشارق الأنوار للقاضي عياض،

و قد ادعى حاجي خليفة " أن مطالع الأنوار هو مختصر لمشارق الأنوار و هذا غير صحيح " 17 ، وهو كتاب في تفسير غريب الحديث وضبط ألفاظه، رتب فيه الكلمات على ترتيب حروف المعجم المعروف بالمغرب بحسب حرفها الأول ثم الثاني ثم الثالث، وقد جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى، وخصه بالموطأ وصحيحي البخاري ومسلم، منه نسخ في جامعة القرويين بفاس رقم:594، 624، 1641 والقاهرة ثاني 149/1 كما توجد منه نسخ في المكتبات التركية 18.

لقي هذا الكتاب اهتماما كبيرا من العلماء فاقتبسوا منه، و لخصوه، و صنفوا على منواله وقد قمت بإحصائية بسيطة حسبت فيها عدد الاستشهاد التي أخذت من أقوال ابن قرقول من كتابين في شرح صحيح البخاري فوجدت التالي:

- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: 33 استشهادا.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني: 138 استشهادا.

مما يدل على رسوخ كعب هذا العالم الجزائري ، و معرفته و اطلاعه على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة محمد بن محمد بن عبد الكريم أنه نظم كتاب مطالع الأنوار، قال رحمه الله:" محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز الموصلي الأصل البعلي المولد نزيل طرابلس..مهر في الفنون وقال الشعر وصنف التصانيف ونظم مطالع الأنوار لابن قرقول" 19.

كما ذكر الإمام السخاوي في ترجمة أبو الثناء بن الشهاب ، الترجمة رقم 544 أنه ممن لخص كتاب مطالع الأنوار و هذبه قال رحمه الله :" محمود بن أحمد بن محمد النور أبو الثناء بن الشهاب الهمذاني الفيومي الأصل الحموي الشافعي... تفقه على علمائها في ذلك العصر وارتحل لمصر والشام فأخذ عن أئمتها أيضاً إلى أن تقدم في الفقه وأصوله والعربية واللغة وغيرها، وصنف الكثير كمختصر القوت للأذرعي وهو في أربعة أجزاء سماه إغاثة المحتاج إلى شرح المنهاج وقيل إنه سماه لباب القوت وتكملة شرح المنهاج للسبكي وهو في ثلاثة عشر مجلداً والتحفة في المبهمات وشرح ألفية ابن مالك وتحرير الحاشية في شرح الكافية الشافية في النحو له أيضاً ثلاث مجلدات وتهذيب المطالع لابن قرقول في ست مجلدات واختصره فسماه التقريب في الغريب في جزأين " 20.

**الهوامش:**

1- سورة النساء. الآية 95.

2- ابن ماجه في السنن .كتاب المقدمة. باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه. وابن عبد البر .جامع بيان العلم وفضله تحقيق أبو الأشبال الزهيري.دار ابن الجوزي. الدمام السعودية.سنة النشر 1414هـ-1994م.ط1." بَابُ مَوْضِعِ السُّنَّةِ مِنَ الْكِتَابِ، وَبَيَانِهَا." رقم الحديث: 1412 .ص561.

3- ابن عساكر. تاريخ دمشق.مطبعة دار إحياء التراث.ج 9 /ص14.

4- عمر بن حسن بن دحية أبو الخطاب. المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق إبراهيم الابياري-حامد عبد المجيد-أحمد أحمد بدوي.دار العلم.بيروت. ص 64.

5- محمد بن جعفر بن ادريس الحسني الكتاني. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة..تحقيق محمد المنتصر الزمزمي بن محمد جعفر الكتاني.مطبعة دار البشائر الإسلامية.سنة النشر 1414هـ-1994م. ط5. ص 106.

6- أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي. تهذيب الأسماء واللغات.. مطبعة دار الكتب العلمية.بيروت.ج3/ 288 .

7- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب.الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق : محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط2 . ج1 / ص487 .

8- المصدر نفسه ج2 / ص86 .

9- عبد القادر بن عمر البغدادي.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة4سنة النشر 1418 هـ - 1997 م.ج 2 / ص293.

10- محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات..تحقيق إحسان عباس. مطبعة دار الغرب الإسلامي . بيروت.الطبعة 2.سنة النشر 1982م. ج 2/ 686ص .

11- الإمام الذهبي.سير أعلام النبلاء – مؤسسة الرسالة بيروت ط 9. ج 22/ ص389 .

12- المصدر نفسه. ج 20 /ص205.

13- ابن فرحون. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب— الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر. ج 3/ص413.

14- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه.. تحقيق محمد علي النجار. المكتبة العلمية، بيروت . لبنان.ج 1/ص 182.

15- عمر بن حسن بن دحية أبو الخطاب. المطرب من أشعار أهل المغرب..تحقيق إبراهيم الابياري–حامد عبد المجيد– أحمد أحمد بدوي.دار العلم.بيروت. ص 64.

16- ابن خلكان. وفيات الأعيان. تحقيق إحسان عباس. دار صادر. بيروت. ج1 / ص62، 63. صلاح الدين الصفدي. الوافي بالوفيات .دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ج6 /ص 171.

17- حاجي خليفة .كشف الظنون.دار إحياء التراث العربي بيروت. لبنان. ج 2 /ص 1715.

18- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي.فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي.تحقيق علي حسين علي.المطبعة دار الإمام الطبري 2ط.سنة النشر 1412هـ- 1992م.ج4.ص29. النسخة الخطية في تاريخ بروكلمان 277/6.

19- أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة..المطبعة دائرة المعارف العثمانية.حيدر آباد.سنة النشر: 1349هـ.ج3/ ص583.

20- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.المطبعة دار مكتبة الحياة.بيروت. ج5 / ص61.